

## الْفَضْلُ الْبَرَّانُ عَشِينَ الصَّبْرُ

الصبر نصف الدين وهو الكنز العظيم الثمين، به ينال المرء كرامة الله ويكون من السعداء المفلحين، وهو عماد التوفيق وسبيل السداد، ولا يمكن أن ينبغ أو ينبل أحد قط إلا بالصبر، وبالصبر يكون النصر، ويعظم الأجر، ويرتفع القدر، ويكون الارتقاء في مدارج القرب من الله جَلَّ جَلَّالُهُ، الصبر دواء للمكولوم، وعزاء للمحروم، وزاد للمبتلى المرحوم، الصبر جواد لا يكبو وصارم لا ينبو، وحصن لا يهدم، وجند لا يهزم، وهو خير العطايا وأوسع الهبات ولئن كان الإنسان هلوغاً جزوياً بطبعه فإن المؤمن له من إيمانه رصيد كريم يحثه على الصبر ويدفعه إليه، ويهونه له ويحمله عليه، وله من تقواه لربه وجهه له ما يجعل له الصبر حالاً دائماً، ووصفاً لازماً، والمرء ما دام في حصن الصبر ثابتاً فإنه متعرض لرحمة الله، مستحق لمعية ربه ومولاه، جدير حقيق بحب الله له وثناء الله عليه فتعالوا نعيش هذه اللحظات، ومن خلال تلك الصفحات مع الصبر لعلنا نكون من أهله.

### حقيقة الصبر ومعناه

**الصبر لغة:** الكف والحبس يقال: صبر عن الأمر أي حبس نفسه عنه وهو نقيض الجزع قال الجوهري: الصبر حبس النفس عن الجزع، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]. أي: احبس نفسك معهم على الطاعة<sup>(١)</sup>.

**والصبر اصطلاحاً:** حبس اللسان عن الشكوى، وحبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس الجوارح عن التشويش والمخالفات وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر على معصية الله، وصبر على امتحان الله<sup>(٢)</sup>.

(١) «لسان العرب» (٨/ ١٩٣) ط. دار صادر، والمعجم «الوسيط والوجيز» مادة صبر.

(٢) «تهذيب المدارج» ص [٣٥٣] ط. المكتبة القيمة.

ومعنى هذا التعريف أن يكف المرء لسانه عن الشكوى إلى الخلق؛ فإنهم لا يملكون له نفعاً ولا ضرراً ثم إن في ذلك مناقضة للصبر ومنافاة له؛ لأنه حينما يشكو ما به إلى الناس فهو في الحقيقة يشكو الله إليهم ويظهر عدم رضاه بقضائه وقدره جَلَّ جَلَّالُهُ، رأى الفضيل ابن عياض رجلاً يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال له: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟!

وإذا عرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم  
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم  
إن هذا الخوار الضعيف الذي يظل يشكو ويشكو إلى هذا وذلك هذا ليس بصابر بل هو جزوع مهين.

إن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها ويزيدها، ويسئ الصديق ويشمت العدو، ويغضب الله ويسر الشيطان ويحبط الأجر ويضعف الإيمان قال بعض الحكماء: الجزع لا يرد الفائت ولكن يسر الشامت.

وقال شقيق البلخي: من شكَا مصيبة به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً.

وإذا صبر المرء واحتسب فقد أَرْضَى ربه، وأخزى شيطانه وسر صديقه وساء عدوه وكان من الكرام العاقلين.

وهنا مسألة لا بد من لفت النظر إليها وهي أن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، بل إنها من معاني العبودية والتذلل والتضرع إلى الله جل وعلا، وقد قال نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يُونُسُ: ٨٦]. مع أنه قال قبل ذلك: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ﴾ [يُونُسُ: ٨٣]. وهذا نبي الله أيوب صلوات الله وسلامه عليه الذي ضرب به المثل

في الصبر وأثنى عليه ربه بذلك ها هو يقول: ﴿إِنِّي مَسَّيْتُ الضُّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وقد قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وكذلك فإن من معنى الصبر استسلام النفس وإذعان القلب وعدم الضجر والسخط والجزع؛ لأن المؤمن على يقين جازم أن كل ما يجري له إنما هو بتقدير الله سبحانه، وأنه لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه، وأن كل ما يقع في الكون إنما هو قضاء الله وقدره ولا يمكن لمخلوق رده بحال من الأحوال، فكل مصيبة صغيرة أو كبيرة خاصة أو عامة قد سطرت وكتبت في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله الخليقة وقبل أن توجد الحياة قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]. إن المؤمن الصابر يعلم أن البلاء لا يدوم وأن من ورائه حكماً وفوائد وكرامات لا يعلمها إلا الله لذلك يصبر محتسباً عالماً أن ربه أرحم به من نفسه ومهما اشتد البلاء فإنه في صبر وثبات وقد ورد في تعريف الصبر أنه تجرع المرارة من غير تعبُّس، وكان ابن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: سحابة صيف ثم تنقشع.

إن الذي قدر عليك ما أنت فيه هو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين ليمتحن الله الإيمان في قلبك وليربيك على التذلل له والتواضع لخلقه، ولكي تطهر النفس من الكبر والعجب والغرور، ولكي تفيء النفس سريعاً إلى حقيقة العبودية لله جَلَّ جَلَالُهُ.

والمعنى الثالث في التعريف السابق للصبر حبس الجوارح عن التشويش وهي المخالفات كلطم الحدود وشق الجيوب والتلفظ بالعبارات التي تحمل السخط وتدل على عدم الرضا، وكذلك حبس الجوارح عن ارتكاب المحرمات.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من إجلال الله ومعرفة حقه ألا تشكو وجعك، ولا تذكر مصيبتك.

قال أبو مسعود البلخي: من أصيب بمصيبة فمزق ثوبًا أو ضرب صدرًا فكأنها أخذ رمحًا يريد أن يقاتل به ربه عزَّجَل<sup>(١)</sup>.

وكم من مغبوط بنعمة هي داؤه، وكم من محرم من دواء حرمانه هو شفاؤه، ورب محبوب في مكروهه، ومكروهه في محبوب، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

لا تكره المكروه عند حلوله      إن العواقب لم تزل متباينة  
كم نعمة لا يستهان بشكرها      لله في طي المكاره كامنة

وقيل في تعريف الصبر: ثبات باعث الدين والعقل إذا اعتراه باعث الهوى والشهوة<sup>(٢)</sup>، وباعث الدين ما هدي الإنسان إليه من معرفة الله ورسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وهي الصفة التي فارق بها الإنسان البهائم في قمع الشهوات، وباعث الهوى هو مطالبة الشهوات بمقتضاها فمن ثبت حتى قهر هواه واستمر على مخالفة الشهوة التحق بالصابرين، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين<sup>(٣)</sup>.

### حكم الصبر

الصبر منه ما هو واجب على العبد كالصبر عن المحرمات والصبر على أداء الفروض والواجبات، والصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالمرض والفقر. ومن الصبر ما هو مستحب كالصبر على فعل السنن المستحبات والصبر عن المكروهات والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله<sup>(٤)</sup>.

(١) «الإحياء» (٤/ ١٣٩).

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» [٢٧٦] ط. دار العقيدة؟

(٣) «موعظة المؤمنين» للقاسمي [٤٢٦-٤٢٧]، ط. دار الحديث.

(٤) «عدة الصابرين بتصرف يسير» [٢٢] ط. دار الكتب العلمية.

ومما يدل على وجوب الصبر فيما ذكر قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [الزمر: ٢٠٠]. وقوله تعالى مخاطباً رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]. وقوله تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧].

ولما مرَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بامرأة تبكي عند قبر قال لها: «اتقي الله واصبري»<sup>(١)</sup>. ومما يدل على استحبابه في حالات أخرى قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [الحج: ١٢٦].

### فضائل الصبر وثمراته

الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له كما أنه لا جسد لمن لا رأس له، وفي الحديث عن فضائل دعوة إليه وحث للنفس عليه، والمهدي من هداه مولاه، ومن فضائل الصبر ما يلي:

#### أولاً - الصبر تكفير للخطايا والسيئات:

الصبر يغسل العبد من خطاياهِ ويطهره من آثامه وذنوبه، وينقيه من آثار العصيان وآثار السيئات والمعاصي قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها من سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها»<sup>(٢)</sup>. وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشكوة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري برقم [١٢٨٣]، ومسلم برقم [٩٢٦].

(٢) رواه البخاري برقم [٥٦٤٨]، ومسلم برقم [٢٥٧١].

(٣) رواه البخاري برقم [٥٦٤١]، ومسلم برقم [٢٥٧٣].

والنصب أي: التعب، والوصب هو الوجد والألم ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾ [الصافات: ٩]. أي: لازم ثابت<sup>(١)</sup>. فكل مصاب بألم أو مرض أو تعب حتى الشوكة إذا صبر واحتسب كان ذلك كفارة لخطيئته ورفعة لدرجته قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة»<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: «مَالِكُ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تَزْفُزِفِينَ؟» قَالَتْ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ: «لَا تَسْبِي الْحُمَى فَإِنَّهَا تَذْهَبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يَذْهَبُ الْكَبِيرُ خَبَثُ الْحَدِيدِ»<sup>(٣)</sup>.

### ثانيًا - الصبر خير كله،

الخير كل الخير والفلاح والفوز وحسن العاقبة والظفر يكون بالصبر، فلو علم المؤمن ما في الصبر من الخير لما تركه في أمر من أموره قط فربنا يقول لنا سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْ نَصْبِرُ وَأُخَيْرُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥]. اصبر فإن الجوع سوف يذهب وباب السجن سوف يفتح، وكل أسير سوف يطلق وكل مريض سوف يجد عاقبة صبره وكل ألم إلى زوال ومن بعد كل ذلك حلاوة يجدها الصابر في قلبه، وخفة يجدها في نفسه وروحه، وسعادة تملأ عليه قلبه ويقول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَيْنَ صَبْرٌ لَّهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [التحك: ١٢٦]. عجباً لحالك أيها المؤمن حينما تبلى فتصبر أو تعطى فتشكر، فتكون في كلا الحالين في طاعة ربك متقرباً إليه قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء

(١) (شرح النووي على مسلم) (٣٧٥ / ٨)، ط. دار الحديث.

(٢) رواه مسلم برقم [٢٥٧٢].

(٣) رواه مسلم برقم [٢٥٧٥].

صبر فكان خيرًا له»<sup>(١)</sup> أي: والله عجبًا لأمر هذا المؤمن الذي يعيش حياته كلها عبودية لربه يتقلب في تلك الحياة بين سراء يشكر ربه عليها، وضراء يصبر عندها ابتغاء وجه ربه، فيؤجر على شكره ويثاب على صبره، وفي كلا الحالين يزداد قربًا من ربه فله ما أجملها من حياة!!

وما أمهاها وما أحلاها!! ومن أراد السعادة الأبدية فليلزم عبدة العبودية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

### ثالثًا - الصابرون هم أصدق الخلق عبودية لله،

إن ابتناء المناقب لا يكون إلا باحتمال المتاعب، ورفعة الدرجات لا تنال إلا بالصبر والثبات، وعلى قدر البذل والصبر تكون المنزلة والأجر، وإن هذه الأرض ما عرفت أحدًا من البشر قط عاش عليها أصبر وأصدق مع الله من أنبياء الله ورسوله الذين ابتعثهم ربهم لهداية الخلق ودعوتهم وكم لاقى الأنبياء من كيد وعنت، وإيذاء وابتلاء وما كان منهم إلا أن صبروا حتى أيدهم ربهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين قال ربنا جل وعلا:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]. وقال عز من قائل سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَرْصِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الحقافات: ٣٥]. ولهذا رأينا رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أُوذِيَ في الله قال: «يرحم الله أخي موسى ابتلي بأكثر من هذا فصبر»<sup>(٢)</sup>. إن سبيل الحق مليء بالعقبات والأشواك والابتلاءات ولكن المهام الكبيرة لا يصطفى لها إلا صفوة الخلق وخير الخليقة الذين يجتبيهم ربهم؛ ليكونوا أهلاً لتحمل رسالة الله إلى خلقه وهم الدعاة الصادقون من بعد الأنبياء الذين ساروا

(١) رواه مسلم برقم [٢٩٩٩].

(٢) رواه البخاري برقم [٣١٥٠]، ومسلم برقم [١٠٦٢].

على ذات الدرب وسلکوا نفس السبیل وهم یعلمون جیداً أن هذا طریق مشحون  
مملوء بالعقبات والعراقیل، ولكن الثقة بالله والیقین بالله تجعل فی نفوسهم تلذذاً بالبلاء  
واستمتاعاً بالمحن، وكفی بالمرء شرفاً أن یتلی فی الله، وقد قال بعض السلف لما سئل:  
هل صدتك المحن عن الطريق؟ فقال: لولا المحن لشککت فی الطريق، ولهذا أیها الأحبة  
كانت الكلمة التي قالها ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ في أول يوم نزل عليه  
الوحي قال: يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله  
ﷺ: «أو مخرجي هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي<sup>(١)</sup>.  
هذه طبيعة الطريق يفهمها ويعرفها أولو البصائر ولكنهم ينظرون في كل وقت وحين  
إلى العاقبة الحميدة والثواب الكريم والفضل العظيم الذي يؤتيه الله جلّ جلاله لهم في الدنيا  
والآخرة ومن صبر نال، من صبر ظفر، من صبر استحق نصره الله وتأييده، وحفظه  
ورعايته ورحمته.

#### رابعاً - بالصبر يحبك الله ويكون معك:

ربنا قريب مجيب يحفظ أوليائه ويسددهم، يعينهم ويكون معهم، وعلى قدر صبرهم  
يكون حفظ الله ومعيته لهم، وإذا كان ربنا معنا فنعم المولى ونعم النصير، إذا كان الله معك  
فمعك القوة التي لا تغلب، والعزة التي لا تقهر، والحارس الذي لا يضام والهادي الذي  
لا يضل، وحينما يكون الله معك يرى صبرك وثباتك وصدقك وإخلاصك، فإنه يحبك  
ويصطفيك، ومجتبيك ويكفيك، ويا لها من كرامة ويا له من فضل حينما يحبك الله ويكون  
معك قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]. وقال جلّ جلاله: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ

مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

### خامساً - الصابرون أهل لرحمة الله وصلاته وثنائه:

للصابرين من كرامة الله شيء عظيم، فالله يصلي عليهم ويثني عليهم في الملأ الأعلى، ويغفر لهم ذنوبهم، وتنزل عليهم رحمته تأمل هذه الآية الكريمة التي تقرر ثبوت البلاء ابتداء ثم يأتي فيها ثواب الصبر العظيم ليفقه الموقنون طبيعة الطريق ولتعلموا عظمة الثواب التي يثمرها الصبر ويحققها قال ربنا جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]. هذا حال الصابرين الصادقين إذا أصابتهم مصيبة استرجعوا وصبروا وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، يقول أبو الفداء ابن كثير عليه رحمة الله: أي تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده، وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ أي: ثناء من الله عليهم ورحمة، قال سعيد بن جبير: أي أمانة من العذاب ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

### سادساً - جزاء الصبر الجنة:

يكفي ويشفي في الحث على الصبر أن تعلم أن ثواب الصابرين دخولهم الجنة وتلك أسمى المطالب وأجل المكاسب وأعظم الغايات تستحق والله أن تبذل في سبيلها النفوس، وترهق الأرواح وتسفك الدماء؛ لأن الحياة الدنيا مهما طالَّت فهي إلى انتهاء، أما النعيم الخالد المقيم فلا يكون إلا في جنات النعيم، فإذا استحضر المسلم ذلك المعنى سهل عليه الصبر وهانت عليه المصائب، وهل يريد المؤمن إلا ثواب الآخرة؟! وهل يعمل ليل نهار

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٢٧١) ط. التوفيقية.

وفي كل لحظة من حياته إلا لكي يصل إلى جنة الله ورضوانه؟! أي أخي، الصبر طريقك إلى الجنة فتشبت به ودم عليه حتى تنال من حسن العاقبة ما يسرك ويسعدك، قال الله تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الأنعام: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدِرُّوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٣٢) جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٣٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: حلت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه ومستلزم لحصول كل محبوب، ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل العالية والجنات الغالية، ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة أن يجاهدها لعلها تأخذ من أوصاف أولى الألباب بنصيب، ولعلها تحظى بهذه الدار التي هي منية النفوس وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فليعمل العاملون، وفيها فليتنافس المتنافسون<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»<sup>(٢)</sup>. وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الله عزَّ وجلَّ قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة»<sup>(٣)</sup>. وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمرأة التي كانت تصرع: «إن شئت صبرت ولك الجنة»<sup>(٤)</sup>.

(١) «تفسير السعدي» [٤٧٣] ط. دار ابن الجوزي.

(٢) رواه البخاري برقم [٦٤٢٤].

(٣) رواه البخاري برقم [٥٦٥٣].

(٤) رواه البخاري برقم [٥٦٥٢]، ومسلم برقم [٢٥٧٦].

## سابعاً - بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين،

بالصبر يكون النصر والظفر، وتكون الإمامة في الدين كما قال رب العالمين في كتابه المبين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [التجاة: ٢٤].

قال سفيان بن عيينة: لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوساً<sup>(١)</sup>.

فلا يؤهل للإمامة في الدين إلا من صبر على التعلم والتعليم والدعوة إلى الله والأذى في سبيله، وكف نفسه عن المعاصي والشهوات وألزمها طاعة الله وتقواه وكان بالحق موقناً وكان بنصرة الله لأهل الحق واثقاً، ومن لا صبر له فلا ثبات له ولا سداد، ولا نصرة ولا سعادة، لذلك فاستعن بالله واصبر، واستمد صبرك من الله كما قال موسى الكليم عليه صلاة الله وسلامه لقومه: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وقال الله جلّ جلاله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

[البقرة: ١٥٣]

وقال الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿[التجاة: ١٢٧-١٢٨]. فكن صابراً واثقاً موقناً يجعلك الله إماماً في الدين يهتدي بك أناس ويتعلم منك آخرون، وينصرك الله على عدوك مهما بلغ كيد ومكره؛ لأن الله من ورائه محيط، ولأن الله معك يحفظك ويؤيدك، ولما نجى الله بني إسرائيل من فرعون وقومه وأغرقهم في اليم جعل الله من أسباب نجاة بني إسرائيل ونصرتهم أنهم صبروا فأثنى الله تعالى عليهم بذلك في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ

(١) «عدة الصابرين» ص [١٢٥].

بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿[الْاِنْفِرَاد: ١٣٧].  
 فمن صبر نال ومن صبر ظفر، كان له من معية الله وحفظه وتأييده بقدر ثباته وصبره قال  
 تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِيكُ اُوْتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا  
 اِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [التَّحَصُّل: ٨٠].

### ثامناً - الصبر نجاة من النار

الصبر حصن حصين، وسياج أمين ينجي الله به عبده من نار الجحيم وقد ورد  
 في سنن الترمذي بسند صحيح عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قال رسول الله  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجاباً من النار»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتت امرأة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 بصبي لها فقالت: يا نبي الله ادع الله له فلقد دفنت ثلاثة قال: «دفنت ثلاثة؟» قالت: نعم  
 قال: «لقد احتظرت بحظار شديد من النار»<sup>(٢)</sup>. أي: امتنعت بمانع وثيق وأصل الحظر المنع  
 وأصل الحِظار بكسر الحاء وفتحها ما يجعل حول البستان وغيره من قضبان وغيرها  
 كالحائط<sup>(٣)</sup>. الصبر حجاب وثيق ومانع عظيم لصاحبه من نار الجحيم فاصبر ينجك  
 ربك جَلَّ جَلَالُهُ.

أي أخي،

|                    |                      |
|--------------------|----------------------|
| كن عن همومك معرضاً | ودع الأمور إلى القضا |
| وانعم بطول سلامة   | تغنيك عما قد مضى     |
| فلربما اتسع المضيق | وربما ضاق الفضاض     |
| الله يفعل ما يشاء  | فلا تكن متعرضاً      |

(١) رواه البخاري برقم [١٤١٨]، ومسلم برقم [٢٦٢٩].

(٢) رواه مسلم برقم [٢٦٣٦].

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٤٣٢).

## أنواع الصبر

الصبر ثلاثة أنواع. يقول ابن القيم: وهو ثلاثة أنواع صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله<sup>(١)</sup>. وبعبارة أخرى: الصبر على المأمور، والصبر على المحظور، والصبر على المقدور<sup>(٢)</sup>. وقد سبق شرح معناه، ولكن أي هذه الأنواع الثلاثة أفضل؟ الجواب: الصبر المتعلق بالتكليف وهو الأمر والنهي أفضل من الصبر على مجرد القدر فإن هذا الصبر يأتي به البر والفاجر والمؤمن والكافر، فلا بد لكل أحد من الصبر على القدر اختياراً أو اضطراراً، وأما الصبر على الأوامر والنواهي فصبر أتباع الرسل، وأعظمهم اتباعاً أصبرهم في ذلك، وكل صبر في محله وموضوعه أفضل، فالصبر عن الحرام في محله أفضل وعلى الطاعة في محلها أفضل<sup>(٣)</sup>. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية<sup>(٤)</sup>.

## ما هو الصبر الجميل؟

قال شيخ الإسلام: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه<sup>(٥)</sup>.

(١) «تهذيب المدارج» ص [٣٥٣].

(٢) «عدة الصابرين» ص [٥٦].

(٣) «عدة الصابرين» ص [٥٦].

(٤) «تهذيب المدارج» ص [٣٥٤-٣٥٦].

(٥) «تهذيب المدارج» ص [٣٥٤-٣٥٦].

## عاقبة الصبر

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: قرأت سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فتعجبت من مدحه عَلَيْهِ السَّلَامُ على صبره وشرح قصته للناس ورفع قدره بترك ما ترك، فتأملت خبيثة الأمر فإذا هي مخالفة للهوى المكروه فقلت: واعجباً لو وافق هواه من كان يكون؟! ولما خالفه لقد صار أمراً عظيماً تضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده، وكل ذلك قد كان بصبر ساعة فياله عزا وفخراً أن تملك نفسك ساعة الصبر على المحبوب وهو قريب، وبالعكس منه حال آدم في موافقته هواه، ولقد عادت نقيصة في حقه أبداً لولا التدارك فتاب عليه، فتعلموا رحمكم الله عاقبة الصبر ونهاية الهوى، فالعقل من مَيَّز بين الأمرين، الحلوين والمرين فإن من عدل ميزانه ولم تمل به كفة الهوى رأى كل الأرباح في الصبر، وكل الخسران في موافقة النفس، وكفى بهذا موعظة في مخالفة الهوى لأهل النهي والله الموفق.

## مجالات الصبر

هذه صور للصبر في واقع الحياة التي نحيها وبيان لمجالاته وإن كان من المعلوم أنه لن نستطيع أن نستوفي تلك الصور كلها فيكفي الإشارة إلى بعضها والله المستعان.

## الصبر في الدعوة إلى الله:

من أنبل وأجل مجالات الصبر أن يصبر المؤمن على الدعوة إلى الله وذلك من خلال إبلاغها للخلق واحتمال الأذى المترتب على ذلك البلاغ والاستمرار على المنهج السديد والسير على هدي السلف الصالحين وقد قال ربنا عَزَّوَجَلَّ في ذكر وصايا لقمان الحكيم لولده: ﴿يَبْنِ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [الْقِسْطَان: ١٧]. تأمل قوله ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ عقب قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وذلك لأنه - كما يقول الحافظ

ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ - علم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: إن الصبر على أذى الناس من عزم الأمور<sup>(١)</sup>. إن طريق الدعوة طويل شاق، مليء بالعقبات والأشواق ولا يثبت فيه أهل الصبر واليقين ومن ظن أنه يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر دون أن يمسه أذى فقد جهل السنن الكونية والواقع الدعوي المشاهد، ستجد من يتهمك في نيتك وفي عملك وفي رأيك؟ ستجد من يتهمك في عرضك وعقلك، ستجد من يستخف بقولك ويزهد فيك، ستجد وستجد ولكن دواء كل ذلك الصبر فإذا صبرت أجرت واستمرت دعوتك وآت ثمارها.

### الصبر في طلب العلم وتعليمه:

العلم من أشرف المطالب، وأنفس المكاسب، وأنبل ما يحصله إنسان، وهو أمضى سلاح وأقوى عدة يمتلكها المرء في هذه الدنيا، ولكن ذلك العلم لا ينال براحة الجسد، وإنما لا بد من الصبر والتعب والسهر والسفر في تحصيله، لا بد من مجالسة أهل العلم والرحلة إليهم، ودوام النظر في بطون المراجع والكتب، والعكوف عليها وكل ذلك وغيره لا يتأتى إلا بالصبر فمن صبر نال، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وفي سير العلماء في تضحيتهم بالغالي والنفيس وهجرهم للأوطان وإيثارهم للتعب والنصب والجوع على الراحة والدعة ما يبعث في النفس التأسي ولكن هذا المقام لا يحتمل سرد سيرهم في ذلك فارجع إليها في مظانها تجدها كثيرة عديدة<sup>(٢)</sup>. كذلك لا بد من الصبر على التعليم وبيان الحق للخلق وذلك نوع من الجهاد المتاح في هذه الأيام، وجهاد الحجة والبيان لا يقدر عليه إلا الربانيون الصادقون من أهل العلم، وما أحوج الأمة في هذه

(١) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» ص [١٠٦٤] ط. دار السلام بالرياض.

(٢) راجع في ذلك صفحات من «صبر العلماء» لأبي غدة، و«علو الهمة» للدكتور المقدم و«صلاح الأمة» للدكتور العفاني، جزاهم الله جميعاً خيراً.

الأيام إلى جيوش قوية من أهل العلم لردع الباطل ودحض شبهاته وافتراءاته لاسيما وقد اشتدت واستأسدت في هذه الأيام فتن الشبهات وأطل أهلها المبطلون المغرضون برءوسهم من خلال شاشات مغرصة خبيثة من شيعة روافض، ونصارى صليبيين، وصوفية مخرفين، وبهائية وقاديانية منحرفين إلى غير ذلك من طوائف الضلال التي ظهرت أنيابها بكل وقاحة في هذه الأيام، ولا يصد ولا يرد تلك الطوائف عن حياض الإسلام إلا جيش من المرابطين الصادقين المخلصين الذين يتجددون لله ويبيعون أنفسهم له ويستعذبون العذاب في سبيله، وأولئك هم الأبطال حقاً والمرابطون الصادقون فعلاً إن كثيراً من طلاب العلم في هذه الأيام لا هم لهم إلا القليل والقال، والبحث عن الأخطاء والزلات وانشغلوا عن عدوهم وأصبحوا يخربون بيوتهم بأيديهم، ويمكنون لأعدائهم من أنفسهم، ثم أين إنتاجهم العلمي والدعوي؟! أين ثمرة ما تعلموا لا تجد إنها هم صور بلا حقيقة وأشباح بلا أرواح وألسنة حداد تفرى في الأعراض فبئس ما يصنعون، وبئس ما سولت لهم أنفسهم، وبئس ما هداهم إليه شيطانهم. أي إخواني، أين أنتم في ساحة الجهاد الدعوي والعلمي؟! أين أنتم في مكافحة المنكرات والبدع؟! أين أنتم في نشر التوحيد والسنة؟! ما هو دوركم وما هي ثمرة جهودكم؟! والله لتسألن عن علمك ماذا عملت فيه؟! والله لتسألن عن هذه الحرب القائمة والدائرة على الإسلام وأصوله ما هو دورك فيها؟! أي إخواني بالله عليكم استيقظوا وانتبهوا، هبوا لنصرة دينكم ودعوتكم، اصبروا لله في المجاهدة عن دينه، صبراً صبراً في مجال العلم والتعليم والإرشاد والبيان، واتق الله وكن جندياً صالحاً، كن ربانياً حريصاً على نشر الحق ونصره ودحض الباطل والتصدي له بكل سبيل.

### الصبر في الفتن:

في عصرنا أصبحت الفتن كأمواج البحر تحيط بنا من كل اتجاه، وتتلون بألوان متعددة، تشتد وتمتد، وتضل وتزلزل، والمعصوم منها من عصمه الله، وكأن هذا الزمان

هو أشبه شيء بزمن الصبر الذي قال فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»<sup>(١)</sup>. أريت إنساناً أمسك في كفة يده جمرة نار مشتعلة قد قبض عليها، وهي تحرق جلده ولحمه وتصل إلى عظمه ولكنه لا يستطيع أن يتركها؛ لأن في الإمساك بها نجاته كذلك المتمسك بدينه في هذه الأيام يجد من الفتن ما يذهله ويؤلمه ويحيط به ويزلزل، فيظل ثابتاً على دينه مستمسكاً به برغم الأذى العظيم والألم الشديد الذي يلقيه في كل ناحية واتجاه ولا بد أن يصبر المؤمن الموقن وليعلم أن الله معه وليعلم أن المعونة تأتي من الله على قدر المثونة، والسعيد الموفق من سدده ربه وثبته ثم جزاه بثواب الصابرين قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر، فوهاها»<sup>(٢)</sup>. وأسلم طريقة للنجاة من الفتنة البعد عنها وعدم التعرض لها، ثم دوام الاعتصام واللجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

### الصبر عن اللغو وآفات اللسان؛

لقد امتدح الله جَلَّ جَلَالُهُ المؤمنين المفلحين بهذا الخلق النبيل وهو الإعراض عن اللغو ومجالس الزور قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٣]. وقال تعالى: ﴿حُذِرَ اللَّغْوُ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الإعراف: ١٩٩]. كذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. إن اللسان من أخطر الجوارح التي تغرق الإنسان في المعاصي والسيئات، كم من كلمة أفسدت وأضلت، كم من كلمة أوقعت بريئاً في تهمة، ولو ثبث عرضاً طاهراً، وصدت عن سبيل الله، وأثارت العداوات وأوغرت النفوس، فلا بد من الصمت وكف اللسان عما يجز العبد إلى الإثم، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت»<sup>(٣)</sup>. قال

(١) رواه الترمذي برقم [٢٢٦٠]، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٩٥٧].

(٢) رواه أبو داود برقم [٤٢٦٣]، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم [٧٢٤٣].

(٣) رواه البخاري برقم [٦٠١٨]، ومسلم برقم [٤٧].

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنوبه ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به.

لذلك أخي، كف لسانك يسلم لك دينك، كف لسانك تكن محبوباً مرحوماً فما أضر عليك من لسانك إذا أطلقت له العنان، فإذا حفظته حفظك.

### الصبر في الحياة الزوجية:

إن الزوجين شريكان في إدارة البيت وغرس السعادة فيه وذلك إذا قام كلٌّ بدوره واحتمل للآخر خطأه واغتفر له ذلَّله وجعل ذلك الصبر لله ودائماً نقول: من طلب أحبا بلا عيب صار بلا أخ، فلا بد من نقص في الرجل وكذلك في المرأة وبالتغاضي عن ذلك تسير عجلة الحياة وبالصبر والاحتمال تدوم العشرة والألفة بين الزوجين، ولهذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» <sup>(١)</sup>.

ولو فهمنا ذلك الحديث حقاً وامتلئنا في حياتنا لنجونا وسلمنا من الخلافات الدائمة والهموم الكثيرة التي تصرف العبد وتصدفه عن عبادة ربه، وقد أحسن من قال من السلف: ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، نعم إنك أيها الزوج أكمل عقلاً وخلقاً فدارها تعش بها وبكلمة يسيرة تمحو ما هي فيه من غضب وحزن، وبصبر قليل تمتلئ حياتك هدوءاً وطمأنينة، إن عدو الله إبليس يدأب في إثارة ما يوغر النفوس ويوجد النفرة والبغضاء لكي يصل من خلال ذلك إلى تدمير البيوت وهدم حصون الأسر المسلمة فلا تكن ولا تكوني عوناً للشيطان على أنفسكما، ولتثق كل منكما ربه ولينظر ما هو الحق الذي عليه فليؤده. ومن تواضع لله رفعه، ومن صبر لله كافأه وأثابه، وليعلم الزوجان أن مسئوليتهم كبيرة أمام الله جَلَّ جَلَالُهُ في تربية الأولاد وتنشئة الصغار على معالم الدين وأخلاقه قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحذير: ٦]. والتعليم والتربية للأهل والأولاد أمر يحتاج إلى صبر

ومتابعة ولكن مما يعين على ذلك الاستعانة بالله جَلَّ جَلَالُهُ، ومن أهمل ذلك فهو مسئول غداً بين يدي الله عن هذه الأمانة التي أناطها الله به ألا وهي تربية الزوجة والأولاد على أخلاق الإسلام وأصوله قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»<sup>(١)</sup>. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»<sup>(٢)</sup>.

### الصبر عن المعاصي؛

وهذه الوصية للشباب المسلم أن يصبر نفسه عن النظر إلى الحرام ومطالعة المواقع الإباحية ومجالسة أصحاب السوء، والحذر من التدخين وإضاعة الصلوات، وتحذير المسلمة من التبرج وإبداء الزينة ومخالطة الرجال وسهac الأغاني، وغير ذلك من المخالفات وكذلك نصيحة للمسلمين عامة باجتناب الربا والاقتراض من البنوك الربوية، وأكل الحرام وأخذ الرشوة وغير ذلك من المحرمات فمن صبر عنها صبره الله ويكفيه في الصبر عنها أن يعلم عاقبتها الأليمة في الدنيا والآخرة من حرمان العلم والرزق وسقوط المنزلة عند الله والتعرض لغضبه وعذابه.

### الصبر على الطاعات والاستمساك بها؛

الطاعة غذاء القلب ووقود الإيمان، وإذا غيَّب القلب عن الطاعات مرض ومات، ولذلك كان من هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المداومة على العمل الصالح والاستمرار عليه كما في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه»<sup>(٣)</sup>. وفي صحيح مسلم عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله

(١) رواه البخاري برقم [٨٩٣]، ومسلم برقم [١٨٢٩].

(٢) رواه مسلم برقم [١٤٢].

(٣) رواه البخاري برقم [٤٣]، ومسلم برقم [٧٨٥].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةِ رُكْعَةٍ» (١).  
 وقد نصح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بِالمَحَافَظَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَذَمَّ مِنْ تَرْكِهِ وَأَهْمَلَهُ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» (٢).  
 فَمَنْ كَانَ عَلَى طَاعَةٍ؛ فَلْيَحَافِظْ عَلَيْهَا كَصَلَاةِ الصَّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ وَسَائِرِ الصَّلَوَاتِ الْآخَرَى وَكَذَلِكَ الصَّبْرَ عَلَى إِقَامَةِ السَّنَنِ كُلِّهَا فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، وَالصَّبْرَ عَلَى إِقَامَةِ فَرَائِضِ الدِّينِ وَآدَابِهِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَحَبْسِ النُّفُوسِ عَلَى إِمْتَامِهَا وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَيْهَا وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَأَشَقِّهَا وَلَا يُوَفِّقُ لَهُ إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ وَذُو إِيمَانٍ رَاسِخٍ وَقَلْبٍ سَلِيمٍ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، يَا رَبِّ خُذْ بَنُوَاصِينَا إِلَى مَا يَرْضِيكَ عَنَّا وَقْنَا شَرَّ نَفُوسِنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

### قدوات كريمة

مما يحث النفس على الصبر ويدفعها إليه أن تضرب لها الأمثال وأن تقف على قصص الصابرين وثباتهم؛ لأن النفس طبعت على التآسي والافتداء، فإذا طالعت أخبار الصابرين ومواقفهم كان ذلك دافعاً لها إلى الصبر مشجعاً لها على التحلي به في كل وقت وأن، وفي كل موقف وشدة ومن الشواهد التي نقف معها في ذلك ما يلي:

#### أولاً - إمام الصابرين وأُسوتهم:

هذا هو رسولنا ونبينا وقدوتنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم قدوة وأصدق أسوة في الصبر والثبات، وما عرفت الدنيا قط أصبر من سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإذا تأمل المتأمل في سيرة المصطفى امتلأ قلبه بالإجلال والتعظيم لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وإذا أردت أن تسرد مواقف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصبر وجدت تلك

(١) رواه مسلم برقم [٧٤٦].

(٢) رواه البخاري برقم [١١٥٢]، ومسلم برقم [١١٥٩].

المواقف تتزاحم عليك وتكثر بين يديك حتى تبقى متحيراً ماذا أذكر منها وماذا أترك، ولكننا يكفيننا في هذا المقام لمحات ولفطات من سيرة الرسول ﷺ.

منذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها الدعوة المباركة اشتد العداء والكيد لحرها وتدميرها، فعقدت المؤتمرات وحيكت المؤامرات، واستعان الملائة المشركون بكل ما يستطيعون لصد الرسول ﷺ عن دعوته وصد الناس عنه، ولكن كان كيدهم في تباب، وكان مكرهم إلى زوال وظهر الحق وزهق الباطل، وأشرق النور وانمحي الظلام وذلك من خلال هذا الصبر العظيم للنبي الكريم صلوات الله عليه وسلامه.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي -لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المائدة: ١-٢]<sup>(١)</sup>. هذا ما قاله الأثيم أبو لهب في أول موقف يسمع فيه للدعوة نداء، وكان كذلك سدنة الكفر، وأساطين الباطل، وأنصار الكفر والجهل اهتموا رسول الله ﷺ بالتهم المنفرة التي يتواصى بها أهل الباطل في كل زمان ومكان قالوا عنه ﷺ ساحر!! قالوا عنه شاعر!! قالوا عنه مجنون!! قالوا عنه كاهن!! قالوا عنه كذاب وهو أصدق الخلق ﷺ!!

ومن الأذى الذي ألحقه المجرمون الكافرون برسول الله ﷺ وهو صابر محتسب ما ورد في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا رسول الله

(١) رواه البخاري برقم [٤٩٧١]، ومسلم برقم [٢٠٨].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا<sup>(١)</sup> جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على رأس محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم<sup>(٢)</sup> فأخذه فلما سجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاته، رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هاشم، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط» وذكر السابع ولم أحفظه فوالذي بعث محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر<sup>(٣)</sup>.

ومن أشد ما صنع به المشركون ما رواه البخاري عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: ﴿أَنْقَلُتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آفَات: ٢٨] <sup>(٤)</sup>.

(١) سلا الجزور هي اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الأدمي المشيمة.

(٢) هو عقبة بن أبي معيط كما في بعض الروايات.

(٣) رواه البخاري برقم [٢٤٠]، ومسلم برقم [١٧٩٤].

(٤) رواه البخاري برقم [٣٦٧٨].

ولما اشتد الأذى به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبأصحابه جاء بعض الصحابة إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكون له ذلك ويطلبون منه الدعاء على المشركين فما كان منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن صبرهم وثبتهم وضرب لهم الأمثال وبين لهم مآل الصبر وحسن عاقبة الصابرين فكان ذلك درساً عملياً للصحابة في الصبر والثبات فلما رأوا صبره صبروا ولما رأوا ثباته وبقينه ثبتوا روى البخاري من حديث خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مَتَوَسِدٌ بِرَدَّةٍ لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمَشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَأْخُذُ الرَّجُلُ فَيَحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمَنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيَمَشُطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ فَمَا يَصْدَهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاحِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنْكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (١).

ووصل الأمر بالمشركين أن غيروا اسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتقاراً لدينه واحتقاراً له، وبغضاً وحسداً وتنفيراً للناس عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن شدة كراحتهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يقلبون اسمه من محمد إلى مذمم فيقولون إذا ذكروه بسوء فعل الله بمذمم، وكان ذلك بحمد الله مصروفاً عنه؛ لأن مذمماً ليس اسمه ولا يعرف به ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قَرِيشٍ وَلَعْنَهُمْ؟ يَشْتَمُونَ مَذْمُماً، وَيَلْعَنُونَ مَذْمُماً، وَأَنَا مُحَمَّدٌ» (٢).

ولما وجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرض مكة صلدة صلبة لا تثمر إلا العداء والكيد والأذى رحل إلى بلد آخر لعله يجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية وتكبد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشقة السير في الصحراء الفاحلة وفي حرارة الشمس الملتهبة ما يقارب مائة من الكيلو مترات لكي يبلغ دعوة الله إلى أهل الطائف ولكن ماذا وجد المصطفى عند أهل الطائف؟

(١) رواه البخاري برقم [٣٦١٢].

(٢) رواه البخاري برقم [٣٥٣٣].

يخبرنا عن ذلك الحديث التالي في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلمتني فنظرت فإذا جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» (١).

وما كفَّ المشركون في مكة عن أذاهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد عودته إليها في جوار المطعم بن عدي، واشتد به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأذى حتى أذن له بالهجرة من مكة فخرج منها وهي أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليه وبعد أن استقر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة المنورة بدأت مرحلة جديدة من الكفاح والمجاهدة مع سدنة الكفر وأئمة الضلال وما هدأت ثائرة الحروب في تلك المرحلة حتى لقد توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد عقد اللواء لأسامة بن زيد فأنفذ الصديق بعث أسامة من بعد، ولم يُر من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا عظمة الصبر وروعة الثبات الذي استلهم منه الصحابة صبراً وثباتاً لم يعرف لجيل في تاريخ الدنيا غيرهم، وفي معركة أحد جرح وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجشت ركبته وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه بأبي هو وأمي وروحي ونفسي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه، فجعل يسלט الدم عنه ويقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟! فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الأنفال: ١٢٨].

وعن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جرح رسول الله ﷺ يوم أحد؟ فقال: جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتة حتى صار رمادًا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم<sup>(١)</sup>.

واشتد هجوم المشركين على رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من المهاجرين كما عند مسلم من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَفْرَدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهَقُوهُ قَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ» فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ رَهَقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟» فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَاحِبِيهِ: «مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا»<sup>(٢)</sup>. إنه حديث يترجم شدة البلاء الذي تعرض له رسول الله ﷺ وفيه بيان لعظيم محبة الصحابة لرسول الله ﷺ وفدائهم له وفيه بيان لفضيلة الأنصار وصدقهم في مناصرة رسول الله ﷺ وفيه بيان لشرف الدفاع عن رسول الله ﷺ وأن كل من رد عن سنة رسول الله ﷺ بعد موته ودافع عنه ﷺ له نصيب من ذلك الأجر، ومعنى «ما أنصفتنا أصحابنا» على قول جماهير العلماء: ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجوا للقتال بل خرجت الأنصار واحدًا بعد واحد، وذكر القاضي وغيره أن بعضهم رواه «ما أنصفتنا» بفتح الفاء والمراد على هذا الذين فروا من القتال فإنهم لم ينصفوا في فرارهم<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري برقم [٢٩١١]، ومسلم برقم [١٧٩٠] وهذا لفظه.

(٢) رواه مسلم برقم [١٧٨٩].

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٣٩٠).

وعن جندب بن سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دُمِيتُ إصْبَعُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ فَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ إِلَّا إصْبَعُ دُمِيتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتُ» (١).

وكم قتل من الصحابة بين يديه وكم عذب من صحابي من أصحابه! ومع كل ذلك كان صابراً محتسباً صلوات الله عليه وسلامه، ومات كل أولاده في حياته عدا فاطمة، وماتت زوجته الوفية خديجة وعمه الشفيق أبو طالب، وقتل عمه حمزة في أحد ومثل به المشركون ومع كل ذلك كان صابراً محتسباً صلوات الله وسلامه عليه.

وصبر النبي على تعليم الجاهلين وإرشاد الضالين وهداية الحيارى التائهين حتى أسلم الروح إلى ربه جل وعلا.

اتهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدله واتهم في عرضه وفي أحب أهله إليه وأوذي من المنافقين والأعراب واليهود وما كان منه إلا الصبر الجميل والحلم العظيم، وسرد الشواهد في ذلك يطول وتكفي هنا الإشارة إليها وذلك لشهرتها.

### ثانيًا - أنبياء الله ورسله:

أولئك الذين أنعم الله عليهم واصطفاهم واجتباهم وجعلهم قدوة للخلق وهداة إلى الحق، مبلغون عن الله شرعه ودينه، يأخذون بنواصي الناس إلى ربهم، ويخرجونهم بإذن الله من الظلمات إلى النور قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وفي صبرهم وثباتهم أسوة كريمة وما أحتاجنا لدراسة سيرهم واستخراج الدروس التربوية من خلالها ونقف في هذه الإطلالة على أمثلة مختصرة تكون مجرد إشارة فمن ذلك:

(١) رواه البخاري برقم [٦١٤٦]، ومسلم برقم [١٧٩٦] وهذا لفظه.

## نوح عليه السلام:

ذلكم النبي الكريم الذي ظل صابراً على دعوة الناس مئات السنين حتى بلغ الزمن الذي قضاه في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً وما عرف عن نبي من الأنبياء أنه عاش يدعو قومه مدة طويلة كهذه التي عاشها نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ما يلقيه من تكذيب وإعراض، واستهزاء وسخرية، وجدال ومحاورات قال تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [التكْوِيْت: ١٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربتة ومخالفتة وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبداً ما عاش، ودائماً ما بقى، وكانت سجايهم تأبى الإيمان واتباع الحق ولهذا قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]. ولهذا قالوا: ﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنَابِهَا يُؤَدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٨) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿[هود: ٣٢-٣٣]. أي إنما يقدر على ذلك الله عَزَّجَلَّ فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكثرته أمر بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون<sup>(١)</sup>، ولنا في نبي الله نوح أسوة كريمة في الصبر والثبات على الدعوة إلى الله والصبر على الأذى الذي لا بد منه لكل من تصدر لهداية الناس ودعوتهم لاسيما إذا كان صادقاً ناصحاً.

## إبراهيم الخليل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كلما تكلم المرء عن خليل الرحمن إبراهيم ازداد له حباً وتوقيراً وكلما قرأ أو سمع عنه ازداد الإعجاب والإجلال لهذا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه الذي صبر على أمر ربه وإقامة دينه قال تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ

(١) «قصص الأنبياء» ص [١٦٤] ط. التوفيقية.

لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴿البَقَّة: ١٢٤﴾. قال ابن كثير: لما وفى ما أمره ربه به من التكاليف العظيمة جعله للناس إماماً يقتدون به ويأتمون بهديه <sup>(١)</sup>. وقال الله تعالى مثنيًا عليه: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]. قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبیر: عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه <sup>(٢)</sup>. وقد أمر إبراهيم الخليل بالاختتان وعمره ثمانون سنة فسارع بتنفيذ أمر الله والامتثال لحكمه برغم المشقة الشديدة والألم المترتب على ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اختتن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدم» <sup>(٣)</sup>.

ومن أروع مواقف الصبر وامتناله لأمر الله هو وولده إسماعيل قصة الذبح حيث ابتلي إبراهيم بالأمر بذبح ولده إسماعيل بعد أن بلغ معه السعي ورزق به على الكبر ولكنه ما تردد وما تأخر؛ لأن الله عنده مقدم على كل شيء، وأعظم من كل مراد ورغبته ثم يتلقى إسماعيل الأمر بذلك باستسلام وصبر في موقف يدهش الألباب ويهر العقول ويملاً القلب إكباراً وإجلالاً لهذا النبي الكريم وولده الصابر البار عليهما صلوات الله وسلامه قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأَبَّيْتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ ابْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٧].

### نبي الله يعقوب وولده يوسف عليهما الصلاة والسلام:

وهذا موقف كريم خالد في الصبر على أقدار الله والاستسلام لحكمه لقد ابتلي يعقوب النبي بلاء شديداً في ابنه يوسف عليه السلام الذي أحبه حباً شديداً حتى أنه كان إذا غاب عنه لحظات أحزنه ذلك أشد الحزن فما بالك بالأعوام والسنين؟! قال الله تعالى حكاية عن

(١) المصدر السابق ص [٢٥٣].

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٧/ ٨٩) ط. التوفيقية.

(٣) رواه البخاري برقم [٣٣٥٦]..

يعقوب أنه قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يُونُسُ: ١٣]. ثم كان من أمر إخوانه ما كان من تدبير مكيدة لإبعاد يوسف عن أبيه ليخل لهم وجه أبيهم كما قال بعضهم لبعض ولما ألقوه في غيابة الجب وجاءوا أباهم عشاء يبكون ويخبرونه بهذا الحدث المفزع والخبر المؤلم والخطب الجسيم ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَيُتْرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يُونُسُ: ١٧]. ولكن الأنبياء هم أعظم الناس بصيرة ما صدق الخبر وعلم أن ثمة مكيدة ووثق في ربه أنه سيعيد إليه ولده يومًا ما حتى وإن حالت بينه وبينه بلاد ومرت السنون والأيام فقد قال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يُونُسُ: ١٨]. إنه أمر تعجز عنه الجبال الراسيات ولكنه الإيثار واليقين والثبات قال الحافظ ابن كثير: وجاءوا على قميصه بدم كذب: أي مكذوب مفترى وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالئوا عليه من المكيدة وهو أنهم عمدوا إلى سخلة - فيما ذكره مجاهد والسُّدِّي وغير واحد - فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب وقد أصابه من دمه ولكنهم نسوا أن يخرقوه، فلماذا لم يرج هذا الصنيع على نبي الله يعقوب بل قال لهم معرضًا عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من لبسهم عليه ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: سأصبر صبرًا جميلًا على هذا الأمر الذي اتفقت عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطفه، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي على ما تذكرون من الكذب والمحال<sup>(١)</sup> ولما فقد يعقوب ولده الثاني حينها دخلوا مصر لإحضار الطعام وجاءوا إلى أبيهم يقولون: ﴿إِنكَ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ إنه شقيق يوسف وبهذا يكون قد فقد ولديه اللذين أحبهما حبًّا شديدًا ولكنه لم يئأس من رحمة الله ولم يجزع بل قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يُونُسُ: ٨٣]. ثم قال لهم: ﴿يَبْنَئِ أَوْ ذُهِبُوا

فَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يُوسُفَ: ٨٧]. ثم فرج الله الكرب واجتمع الشمل والتقى يعقوب بولده يوسف في أرض مصر كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يُوسُفَ: ٩٩].

وأما عن صبر يوسف الصديق فقد تجلّى في موقفه حين ألقي وهو صغير في بئر في الصحراء، ثم صبر على محنة الرق حيث بيع رقيقاً وصار مملوكاً يباع ويشترى ثم ابتلي بمحنة مراودة امرأة العزيز له فصبر، ثم أودع في السجن وهو الصديق الكريم واختار السجن على فعل المحرم صبراً منه وثباتاً صلوات الله وسلامه عليه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَلَا نَصْرَ لِي بِكَيْدِهِمْ أَصْبُ إِلَيْهِمْ وَأَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يُوسُفَ: ٣٣]. ثم فرج الله عنه ومكن له في أرض مصر فسلام الله وصلاته عليه.

### موسى الكليم:

وهذا نبي الله الكريم الكليم صلوات الله عليه وتسليماته أرسله الله إلى أعتى طاغية في تاريخ الدنيا ودخل معه في صراع طويل فيه سخرية فرعون واستهزاءؤه بموسى فقد قال هو وقومه عن موسى بأنه ساحر كما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهُ السَّاحِرُ أَدْعُنَا رَبَّنَا بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٤٩]. وعيّر فرعون اللعين بعقدة لسانه فقال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٥٢]. وهدّده وتوعده فقال: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢٩]. وهددته بالقتل واتهمه بأنه مفسد يريد أن يضل الناس وأن يبدل دينهم كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢٦]. وجمع السحرة لحربه فما أفلح وناظر موسى وجادله فخذله الله وأذله وأخزاه، بل إنه قاد الجيوش لقتل موسى ومن معه ولكن كان كيده في تباب وأغرقه الله في اليم ونجى موسى ومن معه إنها صفحات

من صبر الكليم موسى سوف تظل خالدة في الدهر يتعلم منها الأجيال ويقتدى بها أهل البلاء المعذبون.

وكذلك أرسل الله موسى إلى أمتي أمة وأشد الأمم عنادًا وتفلتًا عن منهج الله ورسله أولئك الذين قتلوا الأنبياء وسفكوا دماءهم حتى ذكر أهل السير أنهم قتلوا في غداة واحدة سبعين نبيًا ثم أقاموا سوق للبقول في آخر اليوم وكم عانى موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم وكم صبر على أذاهم وعنادهم إن من خبرهم العجيب بعد أن أنجاهم الله من فرعون وجنوده ورأوا بأمر أعينهم هلاك فرعون وجيشه وبعد أن عبروا البحر وتمت عليهم نعمة الله بالنجاة مروا على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنمًا يعبدونه! قال الله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَبٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٣٨-١٤٠]. ولما اختار موسى سبعين رجلًا من قومه وانطلق معهم إلى جبل الطور عبد قوم موسى العجل بعد خروجه من بينهم وضلوا ضلالًا بعيدًا وكادوا أن يقتلوا هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٤٨]. وكم آذوا موسى عليه الصلاة والسلام فصرير قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الْأَنْعَامُ: ٦٩]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا لَا يَرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءَ اسْتَحْيَاءٍ مِنْهُ فَآذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ مِنَّا هَذَا التَّسْتَرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أَدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يَبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَخَلَّى يَوْمًا وَحْدَهُ فَخَلَعَ ثِيَابَهُ عَلَى حَجَرٍ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا،

وان الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر حتى انتهى إلى مآ من بني إسرائيل فأراه عرياناً أحسن ما خلق الله عزَّجَل وأبراه مما يقولون وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه»<sup>(١)</sup>.

وكم صبر موسى على عتوهم وعنادهم «وكم أن من لن»<sup>(٢)</sup> قالوا: ﴿لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ [الْمَائِدَة: ٢٤]. وقالوا: ﴿لَن نَّصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البَقَرَة: ٦١]. وقالوا: ﴿لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البَقَرَة: ٥٥]. وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما آذاه من آذاه: «يرحم الله موسى ابتلي بأكثر من هذا فصبر»<sup>(٣)</sup>. فصلاة الله وسلامه على هذا النبي الكريم.

### أيوب عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ: إِنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ﴾<sup>(٤١)</sup> أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ<sup>(٤٢)</sup> وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ<sup>(٤٣)</sup> وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ<sup>(٤٤)</sup> [ص: ٤١-٤٤].

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له وكان له أولاد وأهلون كثير فسلب من ذلك جميعه، ابتلي في جسده بأنواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عزَّجَل بهما وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عزَّجَل في ليله ونهاره وصباحه ومساءه، وطال مرضه حتى عافه المجلس وأوحش منه الأنيس وأخرج من بلده وألقي على مزبلة خارجها وانقطع عنه الناس ولم

(١) رواه البخاري برقم [٣٤٠٤].

(٢) أي: كم عانى وتألَّم من قول بني إسرائيل له: «لن».

(٣) متفق عليه. البخاري (١١٥/٤) [٣١٥٠]، ومسلم (١٠٩/٣) [١٠٦٢]، [١٤٠].

يبقى أحدٌ يحنو عليه سوى زوجته كانت ترى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها، فكانت تتردد عليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته وضعف حالها، وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه وتقوم بأوده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة فإننا لله وإنا إليه راجعون وقد ثبت أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه»<sup>(١)</sup>. ولم يزد هذا كله أيوب عَلَيْهِ السَّلَام إلا صبراً واحتساباً<sup>(٢)</sup>، قلت: ياله والله من صبر عظيم وثبات عظيم! وياله من محنة لا يصبر أمامها إلا من اصطفاها الله واجتباها ووقفه وسدده ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا دُوحٌ عَظِيمٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٥].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن نبي الله أيوب لبث به بلاءه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحدٌ من العالمين قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعا فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال: وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]. فاستبطأته فتلقته تنظروا وقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو

(١) رواه الترمذي برقم [٢٣٩٨]، وابن ماجه برقم [٤٠٢٣]، وغيرهما وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» [٤٠٢٣].

(٢) «قصص الأنبياء» ص [٣٣٠-٣٣١] بتصرف يسير.

على أحسن ما كان فلما رآته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً قال: فإني أنا هو، قال: وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله صاحبتي فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض»<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً - الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

لقد شهدت الدنيا وشاهدت الأيام من روعة الصبر وعظمة التضحية صورة صادقة تبرهن على رسوخ الإيمان وعمق اليقين في قلوب الصحابة الكرام لقد كان لهم من الصبر الجانب الأكبر والنصيب الأوفر بعد الأنبياء والرسل، تأمل كيف صهرتهم سيئات الكفر وألتمهم أيدي التعذيب، وحاصرتهم البلاءات من قهر وسخرية واستهزاء وتجويع وطرود وتقتيل، لقد أحاط بهم أئمة الكفر يسومونهم أشد العذاب ويذيقونهم أليم الانتقام فما وهنوا وما ضعفوا، بل رأى أعداؤهم منهم من الصبر ما حير الأبواب وأذهل العقول وأعجز الجلادين وأدهش القساة المتجبرين، فلقد كان صبرهم وثباتهم أعظم من ثبات الصم الصلاب الرواسي، وما عرفت عن واحد منهم غدره ولا خيانه ولا ارتداداً ولا نكوصاً بل ما كان يزيدهم البلاء إلا استمسكاً بالحق وحرصاً عليه، حتى صار ذلك وصفاً عاماً لهم تقرر عند المشركين يدلك على ذلك موقف أبي سفيان يوم أن كان على الشرك وسأله هرقل ملك الروم عن أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له هرقل في جوابه: وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب<sup>(٢)</sup>. ويبين لك شدة ما تعرضوا له من بلاء ما قاله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكان الإسلام قليلاً فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه وإما يعذبونه حتى كثر

(١) رواه ابن حبان «صحيحه» [٢٨٩٨]، والحاكم في «المستدرک» [٤١١٥]، وصححه الألباني في «الصحيحه»

برقم [١٧].

(٢) رواه البخاري برقم [٧].

الإسلام فلم تكن فتنة<sup>(١)</sup>. لقد وصل إلينا هذا الدين على بحار من دماء الشهداء وعرق العلماء من أولئك الصحابة الفضلاء الأوفياء أولئك الذين قدموا أرواحهم ودماءهم ونفوسهم فداء للإسلام وتضحية في سبيل نشره ونصره، وانظر إلى حجم الغزوات والحروب التي شهدوها مع كثرة المؤامرات التي حيكت لاستئصال شأفتهم وإبادتهم ثم يثبتون ويصبرون حتى نصر الله بهم دينه وأيد بهم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانظر كيف صبر المهاجرون على ترك ديارهم وأموالهم إلى المدينة حيث صبروا فيها على اللأواء والحمى أول ما قدموها وصبر الأنصار على مناصرة المصطفى وعداء العالم كله في سبيل ذلك.

يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أفضل عيش أدركناه بالصبر ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له، وقال: الصبر مطية لا تكبو<sup>(٢)</sup>.

ومن أخبار صبر أفرادهم تلمح صبر مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي خرج من الرفاهية العاجلة والنعيم الزائف الزائل وارتضى الإسلام ديناً وتحمل في سبيل ذلك شظف العيش وألم الفقر؛ لأنه يعلم ويوقن أن الآخرة خير وأبقى، ويموت مصعب يوم يموت وهو لا يمتلك شيئاً يكفن فيه جسده يقول خباب بن الارت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هاجرنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نريد وجهه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمره فكنّا إذا غطينا بها رأسه بدت

(١) رواه البخاري برقم [٤٥١٤].

(٢) «عدة الصابرين» ص [١٢٤] ط. دار الريان.

رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه ونجعل على رجله شيئاً من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها<sup>(١)</sup>.

وهذا بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخرج به أمية بن خلف إذا حميت الظهرية فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد<sup>(٢)</sup>. وعن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهباً فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناكه قال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك صبر أبي جندل بن سهيل بن عمرو الذي كان قد عذب عذاباً شديداً في الله ولما استطاع أن يتخلص من القيد والحبس وأتى إلى الحديبية إذ به يؤمر أن يعود إلى مكة مرة أخرى فرجع وبه من الألم ما الله به عليم وبالمسلمين من الغم بسبب ذلك الشيء الكثير، وذلك حينما كان صلح الحديبية تبرم بنوده بين رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو وكان من ضمن هذه البنود أن قال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل: يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد» قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً قال النبي ﷺ: «فأجزه لي» قال: ما أنا بمجيزه لك قال: بلى فافعل قال: ما أنا بفاعل قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله وفي هذا الحديث: ثم رجع النبي

(١) رواه البخاري برقم [٣٨٩٧]، ومسلم برقم [٩٤٠].

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/٢٦٢).

(٣) «السير للذهبي» (١/٣٥٣٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة فجاءه أبو بصير - رجل من قريش - وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فترلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني أرى سيفك هذا يا فلان جيداً فاستله الآخر وقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً» فلما انتهى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد» فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تناشده الله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَאَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ لَأَجَلِيَّةٍ ﴿وَالْفَجَّ: ٢٤-٢٦﴾. وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله ولم يقرؤا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت (١).

ومن المشاهد الرائعة العظيمة في صبر الصحابيات ما رواه البخاري ومسلم عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قال: قلت بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فقال: «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك» قالت: أصبر فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف «فدعها» (١). إنه الإيمان واليقين، إنه الصبر الجميل الذي تختاره هذه المرأة الصالحة التقية وتؤثر الصرع وتختاره وتصبر عليه ما دام أن ثمن ذلك هو الجنة فلله درها! ما أصدقها في صبرها وما أعظم بصيرتها وما أسد قولها وعقلها!!

ومن تلك المواقف المشرقة المشرفة التي نراها في حياة أولئك الصحابيات ذلكن المشهد الخالد والموقف الفذ الذي لا يسطره إلا الإيمان إنه موقف العاقلة التقية المبشرة بالجنة الرميضاء بنت ملحان أم سليم وهي أم الصحابي الكريم أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الذي يروي هذا الحديث فيقول: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بآبائه حتى أكون أنا أحدثه فجاءت فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا فقالت: فاحتسب ابنك قال فغضب ثم قال تركتني حتى إذا تلطخت ثم أخبرتني بابني فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بها كان فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في ثيلكما» قال: فحملت قال: وكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً فدنوا من المدينة فضر بها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ قال يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يارب أنه يعجبني أن

أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجْدُ الذي كنت أجْد انطلق فانطلقنا، وضربها المخاض حين قدما فولدت غلامًا فقالت لي أُمِّي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>. وفي الرواية المتفق عليها قال أبو طلحة لأنس: احمله حتى تأتي به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعث معه بتمرات فقال: أمعه شيء؟ قال: نعم تمرات فأخذها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في فمِّ الصبي ثم حنكه وسماه عبد الله.

وفي رواية للبخاري قال ابن عيينة قال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرؤوا القرآن يعني من أولاد عبد الله المولود.

### في صفة الصابرين؛

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أنعم الله على عبدٍ نعمة فانتزعها منه فعاذه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه.

قال: كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَرُ: ١٠]. كالماء المنهمر.

وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: سحابة صيف ثم تنقشع.

قال الحسن: ما جرعتين أحب إلى الله من جرعة مصيبة موجعة محزنة ردها صاحبها بحسن عزاء وصبر، وجرعة غيظ ردها بحلم.

وأصيب مطرف بن عبد الله في ابن له فأتاه قوم يعزونه فخرج إليهم أحسن ما كان بشرًا ثم قال: إني لأستحي من الله أن أتضعضع لمصيبة.

(١) رواه مسلم برقم [٢١٤٤]، وهو عند البخاري بلفظ قريب برقم [٥٤٧٠].

وقال الحسن بن عبد العزيز الحروزي: قد مات ابن لي نفيس فقلت لأمه: اتق الله واحتسبيه قالت: مصيبي أعظم من أن أفسدها بالجزع.

قالت امرأة من قريش:

أما والذي لا خلد إلا لوجهه      ومن ليس في العز المنيع له كفو  
لئن كان بدء الصبر مُراً مذاقه      لقد يجني من غبته الثمر الحلو  
وقال عمر بن بكير:

صبرت فكان الصبر خير مغبة      وهل جزع يجدي عليّ فأجزعُ  
ملكتم دموع العين حتى رددتها      إلى ناظري فالعين في القلب تدمع<sup>(١)</sup>

وقدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد وكان من أحسن الناس وجهاً فدخل يوماً على الوليد في ثياب وشى وله غدирتان وهو يضرب بيده فقال الوليد: هكذا تكون فتیان قريش فعانه فخرج من عنده متوسلاً فوقع في اصطبل الدواب فلم تزل الدواب تطؤه بأرجها حتى مات، ثم إن الأكلة وقعت في رجل عروة فبعث إليه الوليد الأطباء فقالوا: إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسد فتهلكك فعزم على قطعها فنشروها بالمنشار، فلما صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة فغشي عليه، ثم أفاق والعرق يتحدر على وجهه وهو يهلل ويكبر، فأخذها وجعل يقلبها في يده ثم قال: أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يرضي الله ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت في قطيفة ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين، فلما قدم من عند الوليد المدينة تلقاه أهل بيته وأصدقائه يعزونه فجعل يقول: «لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً» ولم يزد عليه، ولما أرادوا قطع رجله قالوا له: لو

(١) «عدة الصابرين» بانتفاء وتصرف [١٢٤-١٢٩] ط. دار الريان.

سقيناك شيئاً كيلا تشعر بالوجع فقال: إنما ابتلاني ليرى صبري أفأعارض أمره، وسئل ابنه هشام: كيف كان أبوك يصنع برجله التي قطعت إذا توضعاً؟ قال: كان يمسح عليها.

كان صلة بن أشيم في مغزى له ومعه ابنه فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى أحسبك فحمل فقاتل حتى قتل ثم تقدم فقتل فاجتمع النساء عند أمه معاذة العدوية فقالت: مرحباً إن كنتن جئتن تهنئني، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

وقال رجل للإمام أحمد: كيف تجددك يا أبا عبد الله؟ قال: بخير في عافية فقال له: حممت البارحة؟ قال: إذا قلت لك أنا في عافية فحسبك، لا تخرجني إلى ما أكره.

وقال شقيق البلخي: من شكأ مصيبة به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً. ولما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دفنه عمر سوّى عليه<sup>(١)</sup> ثم استوى قائماً فأحاط به الناس فقال: رحمك الله يا بني، قد كنت براً بأبيك، والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك، ولا والله ما كنت قط أشد بك سروراً ولا أرجى بحظي من الله فيك منذ وضعتك في هذا المنزل الذي صيرك الله إليه.

وهذا موقف لامرأة صابرة تكافأ بصبرها في الدنيا ويبقى لها أجرها في الآخرة إن شاء الله، إنها امرأة في البادية جاء البرد فذهب بزرع كان لها، فجاء الناس يعزونها فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف، وبيدك التعويض عما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله؛ فإن أرزاقنا عليك، وآمالنا مصروفة إليك، فجاء رجل من الأجلاء فحدث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار.

قلت: سبحان ربي! فإنه بينما أنا أكتب هذه الكلمات الآن جاءني اتصال هاتفي من أحد الإخوة يستفتي في شيء ولكنه قص عليّ في أثناء حديثه هذا المشهد الذي جاء  
(١) أي التراب.

بقدر الله عَزَّوَجَلَّ ليأخذ مكانه في هذه الصفحة، يقول الأخ: إنني أعمل في شركة من شركات القطاع الخاص وقد كوفئت مكافأة مالية كبيرة تكفي لأداء مناسك العمرة، وما اعتمرت قبل ذلك قط فعزمت فوراً على العمرة، وبينما أنا في مكتب السفر اتصل بي والدي وقال: أنا أريد هذا المال قال فحزنت في أول الأمر وأعطيته المال فلما رأى ما بي رد إلي المال بعد أيام فأخذه، ولكنني راجعت نفسي وقلت: إن البر واجب والعمرة سنة فلو أعطيت المال لوالدي لكان أفضل فذهبت وأعطيته المال لأبي ونفسي راضية بذلك ثم رأيت في منامي أنني في لحظة احتضار ولكنني أردت كلمة التوحيد لا إله إلا الله، والعجيب أن زوجتي رأت نفس هذه الرؤيا في تلك الليلة، يقول وذهبت إلى عملي فاستدعاني مدير الشركة وقال: أخبرتك أنك كنت تريد أداء العمرة ولكن تعذر عليك ذلك وأن مالك قد أنفق في مجال آخر قال: قلت نعم قال: أحضر لي جواز سفرك فإني سوف آتيك بتأشيرة للعمرة وسوف أعطيك نفقات السفر هدية مني لك. قلت: تأمل في هذا المشهد معني أن من صبر نال، وأجر، وفرج عنه وكان الله معه اللهم ارزقنا الصبر واجعلنا من أهله.

### سبل الصبر على المصائب

لن يخلو إنسان من بلية تصيبه، ولن يترك عبداً في هذه الحياة بدون اختبار وابتلاء فكيف يعالج المرء المصائب إذا نزلت؟ وكيف يقوي نفسه على تحملها؟ ويدفع القلب إلى الثبات فيها إن ذلك بأمور:

**أولاً-** أن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء وأنها لن تصفو لأحد قط.

**ثانياً-** أن يعلم أن المصيبة مقدره مكتوبة قبل أن يخلق.

**ثالثاً-** أن يقدر وجود ما هو أكبر منها وأعظم منها.

**رابعاً-** التأسي بحال من ابتلي بمثل هذا البلاء فإن في التأسي تسرية عن النفس

وراحة لها.

**خامساً-** النظر في حال من ابتلي بأكثر من هذا البلاء فإن ذلك يهون عليه بلاءه ويخفف عليه مصابه.

**سادساً-** رجاء الخلف إن كان من مضي يصح عنه الخلف كموت الولد والزوجة، وفقد المال.

**سابعاً-** طلب الأجر بالصبر وتحصيل فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم، واستحضار عاقبة الصبر.

**ثامناً-** أن يعلم أن شدة البلاء يخص بها الأخيار.

**تاسعاً-** أن يعلم أنه مملوك وليس للملوك في نفسه شيء.

**عاشراً-** أن يعلم أن ما وقع إنما هو برضا الرب فيجب على العبد أن يرضى بما رضي به ربه.

**حادي عشر-** معاتبة النفس عند الجزع وإعلامها بأن الجزع لا يرد الفاتئ وإنها يسر الشامت ويحبط الأجر.

**ثاني عشر-** إنما هي ساعة فكأن لم تكن <sup>(١)</sup>.

(١) «تسليية أهل المصائب» ص [٢٩] نقلاً عن «اصبر واحتسب» لعبد الملك القاسم ص [١٨-١٩] ط. دار القاسم وقد ذكرتها بتصريف يسير.

### سبل الصبر على المعاصي

المعصية سبب لكل شؤم وشر، وضنك وضيق يقع للمرء في هذه الدنيا مصداق ذلك في قول ربنا جلّ جلاله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. ومن توفيق الله لعبده وحسبه له أن يعصمه من الزلل وأن يحفظه من الوقوع في أسر المعاصي وبرائن الشهوات تلك التي تدمر الإيمان في القلب وتغرس فيه المعاني الخبيثة والأخلاق المذمومة التي تجعله بغيضاً بعيداً والعياذ بالله. يقول الحسن البصري في أولئك العصاة: هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم.

ومن السبل التي يستعين بها العبد في الصبر على المعاصي بعد استعانته بالله ودوام مراقبته سبحانه ما يلي:

#### أولاً - أن يذكر العبد عظمت ربه وعزته وقوته وقدرته؛

فليستح من ربه أن يعصيه وهو ناظرٌ إليه مطلع عليه، ولو شاء الله لجمد الدم في عروقه وألقى عليه من الآلام ما يذهله ويدمره قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمَا مِنْ ذَاتِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥]. وقال جل ذكره: ﴿قُلْ هُوَ الْفَاعِلُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِقَ بَعْضُكُمُ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

#### ثانياً - أن يتجنب مواطن الفتن ويحترس من مخالطة العصاة؛

على العبد أن يعتزل كل مكان يعصي فيه ربه ولا يحل له قط أن يجلس في مجلس معصية أو أن يجالس قومًا يضررونه في دينه ويرغبونه في معصية الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ

يَحُوضُونَ فِي عَائِلِنَا فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَحُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَأَمَّا يُنْسِينَاكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿الْاِنْجِيلَ: ٦٨﴾. وقال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ﴾ [إِنْكُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ] ﴿النِّسَاءَ: ١٤٠﴾. وكان من فقه العالم الذي سأله قاتل المائة أن أمره بهجر أرض المعصية وأن يتحول إلى أرض الطاعة حتى يستقيم على التوبة ويستمر عليها ويجد من يعينه على الطاعة ويحث عليها كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «فدل على عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء»<sup>(١)</sup>. فلا بد أن يهجر المرء أرض المعصية ومكانها وأهل المعصية الذين يحثونه عليها والسلامة أسلم، ومن جعل دينه عرضة للفتنة وجالس أهل المعاصي وخالطهم ثم وقع فيما وقعوا فيه فلا يلوم إلا نفسه، وعلى نفسها جنت براقش، يداك أوكتا وفوك نفخ.

### ثالثاً- تذكر الثمرة الحاصلة من ترك المعصية واجتنابها:

من ترك المعصية ابتغاء وجه الله وجد لذة لا يجدها العصاة في معاصيهم كما يقول ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن للعفة لذة أعظم من لذة قضاء الوطر ولكنها لذة يتقدمها ألم حبس النفس ثم تعقبها اللذة أما قضاء الوطر فبالضد من ذلك<sup>(٢)</sup> إن لذة الظفر والانتصار على الشيطان يجدها العبد عقيب صبره عن المعصية ابتغاء وجه ربه، ثم يجني العبد بعد ذلك أجراً أكمل وثواباً أتم وأوفى في الآخرة ومن ذلك أن يكون في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله كما في حديث السبعة المشهور ومنهم: «شاب نشأ في عبادة الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال

(١) رواه البخاري برقم [٣٤٧٠]، ومسلم برقم [٢٧٦٦].

(٢) «روضة المحبين».

إني أخاف الله»<sup>(١)</sup>. والشباب ما نشأ في العبادة إلا بصبره عن المعاصي واجتنابه لها، وهذا المنفق صبر على الطاعة وهي الإنفاق وتحرير الإخلاص بإخفاء الصدقة ولم يستجب لشح النفس وحبها للرباء وذلك الثالث الذي صبر عن امرأة عظمت فتنها إنما صبر لما يخافه من عقاب الله ولما يرجوه من ثواب الله وفضله سبحانه.

#### رابعاً - النظر في عاقبة المعصية ومآل العصاة:

لقد أكثر ربنا سبحانه في كتابه الكريم من ذكر العواقب الأليمة التي نزلت بالعصاة الذين خالفوا أمره، واتبعوا أهواءهم بل تعدد ذكر القصة الواحدة بأساليب متنوعة ليحصل الفهم الكامل والتذكر الرادع ولكي يجتنب المؤمن سبيل الظالمين، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(١٠٢)</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴿هُوَ﴾ [١٠٢-١٠٣]. وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾<sup>(٥٠)</sup> وَنُوحًا مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُم أَظْلَمَ وَأَطْعَى<sup>(٥١)</sup> وَالْمُؤَنَفَكَ أَهْوَى<sup>(٥٢)</sup> فَغَشَّاهُمَا مَا غَشَّى<sup>(٥٣)</sup> فَبَآئِيَ آيَاتِكَ لِنَمَارَى<sup>(٥٥)</sup> هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى ﴿الْحَجَّةُ﴾ [٥٠-٥٦]. وإذا نظرت الآن في أحوال العصاة من حولك وكيف تكون عاقبة أمرهم، بل كيف يعيشون حياتهم في نكد وغم يعرفه من دنا منهم، نعم فلا يغرنك ما هم فيه من نعيم زائف وتظاهر بالسعادة، فإنهم في حشرات وغموم يعرفه من عاشرهم، ماذا جنى أكل الربا؟! وماذا جنى من زنا؟! وماذا جنى من ارتشى وأكل المال سحتاً؟! أخبارهم عبرة للمعتبرين، وخواتيمهم تؤلم السامعين، والله ثم والله لو لم يكن في الصبر عن المعصية إلا السلامة من هذه الحشرات الحاضرة، لكان حرياً بالعاقل أن يصبر، وكيف إذا كان عذاب الآخرة أشد وأبقى وأعظم وأخزى، فهل ترضى لنفسك أن تكون في جهنم غداً مع الكافرين

والمنافقين الفجرة والمذنبين؟! ألق عن المعصية وتب منها واهجرها واصبر عنها تصل إلى السكون والطمأنينة في الدنيا وجنة الله ورضوانه في الآخرة والله المستعان.

#### خامساً - الصيام يقطع وقود الشهوة؛

في معاصي الشهوات من أنفع العلاجات الصيام الذي أرشدنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»<sup>(١)</sup>. الصيام يجفف منابع الشهوة ويقطع مادتها، وكان بعض مشايخي إذا جاءه شاب يشكو من فتنة النساء والشهوة يأمره بسرد الصيام أي: يصوم أياماً متتابة وكان ذلك من أنجح وأنفع ما يوصف، فليكثر الشاب من صيام النوافل يجد في ذلك خيراً وعصمة ووقاية بإذن الله؟

#### سادساً - قطع الوسوس والحرس على طلب العلم وسماعه؛

الفراغ لص محترف، ومفسد كبير، فإذا اجتمع معه شباب كان فسادهم أكثر وأكبر كما قيل:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

ولذلك ينبغي للعبد ألا يقعد فارغاً، فيكون عرضة للوسوس والهواجس بل عليه أن يملأ حياته بالعمل والبذل والإنتاج، والاستفادة من العلوم والخبرات ومن أعظم ما يقطع الوسوس ويقضي على الفراغ شغل القلب والعقل بطلب العلم الشرعي ومجالسة العلماء وحضور مجالسهم، والبحث عن شيخ مربٍّ يتعلم الشاب على يده ويستفيد من علمه وتجاربه وخبراته، وفي الحث على طلب العلم كلام يطول يرجع إليه في مظانه.

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٦٦]، ومسلم برقم [١٤٠٠].

## الصبر عن المعاصي بتقوية باعث الدين

مما يردع العبد عن المعصية ويزهده فيها أن يملأ قلبه بالإيمان وجوارحه بطاعة الله عزَّجَلَّ فإن من بركة الطاعة أن تدل على الطاعة، وأن ترده وتصدّه عن معصية الله جَلَّ جَلَّالُهُ، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأما تقوية باعث الدين فإنه يكون بأمر:

**أحدها-** إجلال الله تعالى أن يُعصى وهو يرى ويسمع، ومن قام بقلبه مشهد إجلاله لم يطاوعه قلبه لذلك البتة.

**الثاني-** مشهد محبته سبحانه فيترك المعصية محبة له؛ فإن المحب لمن يحب مطيع، وأفضل الترك ترك المحبين، كما أن أفضل الطاعة طاعة المحبين، فبين ترك المحب وطاعته وترك من يخاف العذاب وطاعته بون بعيد.

**الثالث-** مشهد النعمة والإحسان، فإن الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه، وإنما يفعل هذا لئام الناس، فليمنعه مشهد إحسان الله تعالى ونعمته من معصيته حياء منه أن يكون خير الله وإنعامه نازلاً إليه، ومخالفاته ومعاصيه وقبائح صاعدة إلى ربه.

**الرابع-** مشهد الغضب والانتقام، فإن الرب تعالى إذا تمادى العبد في معصيته غضب، وإذا غضب لم يقم لغضبه شيء فضلاً عن هذا العبد الضعيف.

**الخامس-** مشهد الفوات، وهو ما يفوته، بالمعصية من خير الدنيا والآخرة، وما يحدث له بها من كل اسم مذموم عقلاً وشرعاً وعرفاً ويزول عنه الأسماء الممدوحة عقلاً وشرعاً وعرفاً، ويكفي في هذا المشهد مشهد فوات الإيمان الذي أدنى مثقال ذرة منه خير من الدنيا وما فيها أضعافاً مضاعفة، فكيف يبيعه بشهوة تذهب لذتها وتبقى تبعثها، تذهب الشهوة وتبقى الشقوة وقد صح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يزني الزاني حين

يزني وهو مؤمن»<sup>(١)</sup>. قال بعض الصحابة: ينزع عنه الإيمان كما ينزع القميص فإن تاب لبسه.

**السادس-** مشهد القهر والظفر؛ فإن قهر الشهوة، والظفر بالشیطان له حلاوة ومسرّة وفرحة عند من ذاق ذلك أعظم من الظفر بعدوه من الآدميين وأحلى موقعاً وأتم فرحة، وأما عاقبته فأحمد عاقبة وهو كعاقبة شرب الدواء النافع الذي أزال داء الجسد وأعادته إلى صحته واعتداله.

**السابع-** مشهد العوض وهو ما وعد الله سبحانه من تعويض من ترك المحارم لأجله ونهى النفس عن هواها، وليوازنه بين العوض والمعوض فأيهما كان أولى بالإيثار اختاره وارتضاه لنفسه.

**الثامن-** مشهد المعية، وهو نوعان معية عامة ومعية خاصة، فالعامة اطلاع الرب عليه، وكونه بعينه لا تخفى عليه حاله، والمقصود هنا المعية الخاصة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [البَقَّة: ١٥٣]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَاك: ١٢٨]. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التَّحْكِيْمَات: ٦٩]. فهذه المعية الخاصة خير وأنفع له في دنياه وآخرته ممن قضى وطره ونال شهوته على التمام من أول عمره إلى آخره، فكيف يؤثر عليها لذة منغصة منكدة في مدة يسيرة من العمر إنما هي كأحلام نائم أو كظلم زائل.

**التاسع-** مشهد المعاجلة وهو أن يخاف أن يفاجئه الأجل فيأخذه الله على غرة، فيحال بينه وبين ما يشتهي من لذات الآخرة، فيألها من حسرة ما أمرها وما أصعبها! ولكن ما يعرفها إلا من جربها.

(١) رواه البخاري برقم [٢٤٧٥]، ومسلم برقم [٢٥٧].

**العاشر-** كفّ الباطن عن حديث النفس، وإذا مرت به الخواطر نفاهها ولا يؤويها ويساكنها، فإنها تصير أمانى، ثم تقوى فتصير همومًا ثم تقوى فتصير إرادات، ثم تقوى فتصير عزماً يقترن به المراد فدفع الخاطر الأول أسهل وأيسر من دفع أثر المقدور بعد وقوعه وترك معاودته.

**الحادي عشر-** صرف الفكر إلى عجائب آيات الله التي ندب عباده إلى التفكير فيها، وهي آياته المتلوة وآياته المجلوة، فإذا استولى ذلك على قلبه دفع عنه محاضرة الشيطان ومحادثته ووسواسه.

**الثاني عشر-** التفكير في الدنيا وسرعة زوالها وقرب انقضائها فلا يرضى لنفسه أن يتزود منها إلى دار بقاءه وخلوده أحسن ما فيها وأقله نفعًا إلا ساقط المهمة، دنيء المروءة، ميت القلب، فإن حسرتة تشتد إذا عاين حقيقة ما تزوده، وتبين له عدم نفعه له.

**الثالث عشر-** أن يعلم العبد بأن فيه جاذبين متضادين، ومحتته بين الجاذبين جاذب يجذبه إلى الرفيق الأعلى من أهل عليين، وجاذب يجذبه إلى أسفل سافلين، فكلما انقاد مع الجاذب الأعلى صعد درجة حتى ينتهي إلى حيث يليق به من المحل الأعلى، وكلما انقاد إلى الجاذب الأسفل نزل حتى ينتهي إلى موضعه من سجين. ومتى أراد أن يعلن هل هو مع الرفيق الأعلى أو الأسفل؛ فلينظر أين روحه في هذا العالم، فإنها إذا فارقت البدن تكون في الرفيق الأعلى الذي كانت تجذبه إليه في الدنيا فهو أولى بها، فالمرء مع من أحب طبعًا وعقلًا وجزاء، وكل مهتم بشيء فهو منجذب إليه وإلى أهله بالطبع، وكل امرئ يصبو إلى ما يناسبه وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلُّكُمْ عَلَيَّ شَاكِلَةٌ ﴾ [الأنعام: ٨٤]. فالنفوس العلوية تنجذب بذاتها وهمها وأعمالها إلى أعلى والنفوس السافلة إلى أسفل.

**الرابع عشر-** أن يعلم العبد أن الله سبحانه خلقه لبقاء لا فناء له، ولعز لا ذل معه، وأمن لا خوف فيه، وغناء لا فقر معه، ولذة لا ألم معها، وكمال لا نقص فيه، وامتنحه في

هذه الدار بالبقاء الذي يسرع إليه الفناء والعز الذي يقارنه الذل ويعقبه الذل، والأمن الذي معه الخوف وبعده الخوف، وكذلك الغناء واللذة والفرح والسرور والنعيم الذي هو هنا مشوب بضده؛ لأنه يتعقبه ضده وهو سريع الزوال، فغلط أكثر الخلق، في هذا المقام إذ طلبوا النعيم والبقاء والعز والملك والجاه في غير محله ففاتهم في محله، وأكثرهم لم يظفر بما طلبه من ذلك، والذي ظفر به إنما هو متاع قليل والزوال قريب فإنه سريع الزوال عنه والرسول صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاءوا بالدعوة إلى النعيم المقيم والملك الكبير، فمن أجابهم حصل له ألد ما في الدنيا وأطيبه، فإن العبد إذا ملك شهوته وغضبه فانقادا معه لداعي الدين فهو الملك حقاً.

**الخامس عشر-** أن لا يغتر العبد باعتقاده أن مجرد العلم بما ذكرنا كاف في حصول المقصود، بل لا بد أن يضيف إليه بذل الجهد في استعماله واستفراغ الوسع والطاقة فيه وملاك ذلك الخروج عن العوائد فإنها أعداء الكمال والفلاح فلا أفلح من استمر مع عوائده أبداً، ويستعين على الخروج عن العوائد بالهرب عن مظان الفتنة والبعد عنها ما أمكنه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سمع بالدجال فليأمن عنه»<sup>(١)</sup>. فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه<sup>(٢)</sup>.

### مما يعين على الصبر:

ومما يستجلب للعبد الصبر غير ما ذكر إيمانه بالقضاء والقدر وعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقد قال الله جلّ جلاله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التَّجَات: ١١]. وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٢٢]

(١) رواه أبو داود برقم [٤٣٢١]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٣٠١].

(٢) «عدة الصابرين» باختصار ص [٧٩-٨٦] ط. دار الريان، وقد يحتاج هذا الكلام إلى شرح ولكن إذا أعدت قراءته سهل فهمه واستيعابه بإذن الله.

تَقَرُّحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٢-٢٣﴾. [المائدة: ٢٢-٢٣]. ومن ذلك الدعاء والتضرع والتذلل بين يدي الله جَلَّالَهُ قَالِ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣]. فإذا تضرع العبد وتمسكن وتذلل وأكثر من الدعاء فإن الله عَزَّجَلَّ يلهمه الصبر ويكشف ما به قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ومما يعين على الصبر كذلك معرفة فضل الصبر وعاقبته وكيف أن الله يحب الصابرين ويكون معهم ويشبههم الجنة، ومما يعين عليه كذلك معرفة خطر الجزع وما يؤدي إليه من سرور الشامتين وحرمان الأجر وحبوطه وفقدان المعونة والمعية، ومن بعد ذلك عذاب الآخرة عيادًا بالله ومما يعين عليه كذلك النظر في سير الصابرين والافتداء بهم فلست أول مبتلى بما أنت فيه إنما سبقك في هذا الدرب أقوام وأقوام فخذ من سيرة الصالحين أسوة واجعل حاديك ما تراه من صبرهم وثباتهم بعد استعانتك بالله عَزَّجَلَّ، ذلك أيضًا حسن الظن بالله عَزَّجَلَّ فما ابتلاك إلا ليعافيك، وما منعك إلا ليعطيك، فأحسن الظن بربك يكن لك عند حسن ظنك كما في الحديث القدسي: «أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»<sup>(١)</sup>.

أي أخي، اصبر تؤجر، واثبت ترحم، وأر الله من نفسك خيرًا، اصبر يكن ربك معك، يحفظك، يوفقك، يسددك، ينصرك، يحبك ويصطفيك، يفرج عنك ويرفعك ويعليك، اصبر وما صبرك إلا بالله وكن لله عبدًا في الشدة كما تكون له عبدًا في الرخاء، وحقق العبودية والاستسلام لأمر ربك في العافية والبلاء، وكن لله كما يريد يكن لك مثل ما تريد وفوق ما تريد.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣٩٨/٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٣١٦].